أثر زيارة الأربعين في إصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الإنساني

م. م. رنا فرحان طاهر الكاظمي

كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة / أقسام الديوانية

الملخص

إنَّ أهل البيت عليهم السلام هم خُزّان علم الله، وتراجمة وحيه، وصفوته من خلقه، وحملة رسالاته، وحججه على خلقه في تثبيت كل ما فيه خير وصلاح ورقيّ المجتمع الانساني وصلاح العباد وكمال الإنسانية.

ومن هذا المنطلق الحق نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام شدّدوا وبحسب الروايات التي تسابقت وتظافرت على ضرورة مواظبة المجتمع الانساني وليس الاسلامي وحسب، على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين أي في العشرين من صفر من كل عام هجري، حيث ورد عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أَنَّهُ قال: (علاماتُ المؤمنِ خَمْس: صلاةُ إحدى وخمسين وزيارةُ الأربعين والجَهْرُ ببسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم والتَّختُّمُ باليمين وتعفيرُ الجبين)[1]. ومن هنا فان زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين من أهم علامات المؤمن بشكل خاص والفرد الانساني بشكل عام، وذلك لما تحمله تلك الشعيرة الحسينية الكبرى من معانٍ عظيمة تنحني الجبال إكباراً وإجلالاً لقدرها وهيبتها.

إن البشرية لا تعرف ما لهذه الزيارة من القيمة والفضل العظيم، لأن شرف معرفة فضل وثواب زيارة الحسين عليه السلام قد خُصت فقط بمحمد وآل محمد عليهم أفضل التحية والسلام لأنهم خلاصة الأنبياء والمرسلين وصفوة رب العالمين من الأولين والآخرين، فهي ثورة طرقت أعماق التاريخ الانساني ليصل دويها ومداها إلى مسمع كلّ الأجيال لتخطب فيهم وتنادي بأنّ الحقّ كان ولا يزال يحتاج الى وقفة عزٍّ وفداءٍ وبذلٍ وعطاءٍ كالذي فعله الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ هناك طريقين لن يلتقيا إلى يوم القيامة حيث يفصل الله تعالى بين عباده ألا هما طريق الحق والهدى وطريق الباطل والضلالة.

لقد كان هدف ثورة الامام الحسين عليه السلام بناء الأجيال وإصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الانساني لأنه يعلم أنه سيقتل وعياله ستسبى ولكنه أصرَّ على البذل والعطاء من أجل تحقيق الهدف السامي في إيقاظ الضمائر وإصلاح النفوس البشرية وهذا ما نراه متجدداً في كل عام من زيارة الإمام حيث أنَّ الأعداد تزداد سنة بعد أخرى رغم أنوف الظالمين.

تبدأ الدراسة بواجهة مختصرة لشرح ماهية زيارة الأربعين ودورها الكبير في دحر الظلم والطغيان الذي أوجده أئمة الكفر عبر التاريخ. بعدها ومن خلال المبحث الاول تتم مناقشة التأثير الايجابي والدور الأخلاقي

لزيارة الأربعين في بناء الجيل الواعي للفرد أيّاً كان توجهه أو انتماؤه للدلالة على اتساع القضية الحسينية وعظم شأنها واحتواؤها للإنسانية أجمع، في حين يتناول المبحث الثاني الأبعاد الأساسية لزيارة الأربعين والآثار الجوهرية لهذه الأبعاد في المجتمع الإنساني ومنها البعد العقائدي والبعد الفقهي والبعد الروحي والبعد التربوي والأخلاقي. أما المبحث الثالث فيهتم بدراسة زيارة الأربعين كمناسبة للإصلاح، ويتشعب من هذا المبحث عدة محاور مهمة منها تكريس المثل والقيم الإنسانية، والاهتمام بالإنسان والمجتمع، وإرجاع الحقوق الإنسانية الى مستحقيها، ورفض المحرمات وإزالة المنكرات. في حين ان موضوع عالمية الامام الحسين في زيارة الاربعين تتم مناقشته في المبحث الرابع. وأخيراً تتناول الخاتمة أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

The effect of Arbaeen in the reform of the human society's moral system

Lecturer. Rana Farhan Tahir Al - Kadhimi

College of Imam Kadhim - Shiite endowment directorate

ABSTRACT

In the name of Allah most gracious most merciful and most peaceful and prayerful upon our master and prophet Mohammad and his virtuous family.

Ahlulbait was and still the keeper of Allah knowledge and the interpretation of his prophecy، his elite among his beings ،the bearers of his massages ،and the disproof upon his beings in confirmation all the goodness of human society and people righteousness. Therefore ،they (Ahlulbait) focused on the pilgrimage of Imam Hussain in the twentieth of Safar of each migratory year by the human world not only by Muslim world. Whereas Imam Al Askari said that ‘’the believer’s signs are five; the fifty-one pray ،the pilgrimage of Arbai’n ،the confession by the name of Allah most gracious most merciful ،right ringing ،and earthen the forehead. So ،the pilgrimage of Imam Hussain in Alarbai’n is the most important sign ،especially of the believer and generally of the human being ،because this great shaeira (ritual) bears great meanings that even mountains bow homage and aggrandizement for its status and magnitude.

As such ،the humanity does not know the great virtue of this shaeira since the honor of the grace of such pilgrimage is acknowledged by Ahlulbait only for their status as being the inheritor of all prophets and messengers and the elite of Allah among the headmost and the utmost. It is a revolution that knocked the human history to peak its manual and amplitude for all generations to declaim and speak that the right needs honor pause and sacrifice as Imam Hussain did. Moreover، there are two ways that cannot meet together till judgment day ،whenever Allah differentiates between his beings ،the right way and aberrance way. The aim of Imam Hussain’s revolution was to build the generations and reform the ethic system of the social society because he knew about his assault and his family’s captivity ،and so he insisted on sacrifice for achieving his supreme

aim in reveling the consciousness and reform the human souls. Thus ،this truth is continuous in Al Hussain's pilgrimage of each year and the numeral of pilgrims increase every year ،regardless of oppressive people.

The study begins with a brief impression about the big role of Al Arbai'n pilgrimage in defeating the oppression and injustice that are found by the oppressors cross history. Furthermore، the ethic and the positive role of Al Arbai'n pilgrimage are discussed in the first dimension that is contributed in building the intellectual generation regardless their pertinence or root which represents the greatness of Imam Hussain's matter. The second dimension deals with the basic aspects of Al Arbai'n pilgrimage and the essential impacts of these aspects in the social society that are ،the doctrine aspect ،spiritual aspect ،and the ethical aspect. While the third dimension، it studies Al Arbai'n pilgrimage as a reformation occasion and this dimension is classified into different aspects as devotion of apotheosis and human virtues ،the interest with the human being and society ،the restoration of rights for their owners ،refusal of forbidden and remove of taboo. Whereas the matter of universality of Al Arbai'n pilgrimage is dealt with in the fourth dimension. Then ،the conclusion sums up its main findings.

Finally ،praise be to Allah and peace be upon our prophet and his virtuous family.

المقدمة

زيارة الأربعين ثورة ضد الظلم والطغيان

تعتبر زيارة الأربعين المباركة من الظواهر الاجتماعية التي عززت المذهب الشيعي بالمنازل الرفيعة وبانت على أشدها على مستوى الفرد والجماعة، حيث يشارك فيها كل أفراد وطبقات المجتمع العراقي وعلى مختلف انتماءاتهم الفكرية والدينية في تجمع إنساني يعد الأضخم والأكبر من حيث العدد والأطول مدة على مرّ التاريخ الإنساني.

وكلما مرَّ الزمان نرى أنَّ هذا الاعجاز الالهي يزداد عاماً بعد عام حيث بدأت هذه الزيارة ببضعة ملايين في السنة التي سقط فيها نظام البعث لكننا نرى اليوم أن عدد الزائرين قد بلغ العشرين مليوناً، وهذا لوحده إعجازٌ إلهيٌ قد ارتبط بمعاجز الامام الحسين عليه السلام، لأن الإمام ضحى بكل شيء وبكل ما يملك في سبيل الله حتى بالطفل الرضيع فأعطاه الله كل شيء.

ومن المعروف بأن المشي لهذه المسافات الطويلة جداً يحتاج الى قابليات جسدية جسيمة واستعدادات نفسية هائلة كي يتمكن الفرد من خلالها مواصلة السير وبخطى ثابتة وبشكل مستمر. ومن الجدير بالذكر ان الزائر ماشياً على الاقدام يحتاج إلى المؤونة من الطعام والشراب والمنام والراحة وهذا كله مهيأ بالإعجاز الالهي إذ أنَّ عناية الله عز وجل وبركات أهل البيت عليهم السلام مكّنت الحسينيات والمواكب والمسؤولين على خدمة الزائرين من استيعاب هذه الملايين وتوفير كل ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وكذلك توفير الرعاية الصحية المتكاملة التي من شأنها أن تعالج كل ما يتعرض إليه الزائر الماشي من العوارض الصحية الطارئة أو ما كان من الأمراض المزمنة التي أصيب بها بعض الزائرين في وقت سابق قبل الشروع بالمشي، بالإضافة الى عامل الخوف والرعب المصاحب لهذه الرحلة حيث الاختلاف المذهبي المعارض لمثل هذه المسيرة الراجلة والثورة الكبرى التي يذعر لها كل قلب خالٍ من المحبة لأهل البيت وأتباعهم ويشعره هذا الزحف الكبير نحو قبلة العاشقين بالخوف والغيظ والحنق الامر الذي يقود الحقد الاموي الوهابي الى ارتكاب أبشع الجرائم الخارجة عن العرف الإنساني والتي يعتقد أنها ستمنع أو تحد من هذه المسيرة الحسينية اللاهوتية. والعالم بأكمله يعلم ما لاقاه ويلقاه الزائرون من القتل والتفجير والرعب على أيدي عصابات التكفير والضلال الوحشية المرتزقة التي باعت ذممها بالدينار والدرهم ليعترضوا سبيل الزائرين ومنعهم من هذه الشعائر المقدسة التي تزلزل عروش الطغاة.

لذا استمر السيل الجماهيري بالتدفق نحو قبلة العاشقين ضريح الامام الحسين عليه السلام لأداء زيارة الأربعين بالرغم من الحقد الأموي والعباسي والسلطات المتعسفة المتعاقبة على امتداد التاريخ التي حاولت بكل السبل منع هذه البيّنة وقطع الصلة بين الأمّة والحسين عليه السلام عبر قطع الأيدي والرؤوس.

وبالرغم من تسلط وجبروت الحكومات الظالمة عبر التاريخ لم يمنع من بقاء التعلق الوثيق، بل كان عاملاً في تعزيز وتمتين الارتباط والإصرار على زيارة الحسين عليه السلام، وهذا يشير الى وجود حقيقة غيبية إذ إنّها

قطعاً ليست أسراراً اعتيادية، بل هي ألطاف إلهية شملت أولئك الأحرار الذين عشقوا الحسين عليه السلام ولم يقبلوا أنْ يكونوا من جنس تلك الشريحة الفاسدة التي امتدت سيوفها نحو نحر الحسين عليه السلام، فصرحت وأعلنت امتناعها ورفضها لذلك النمط والمنهج الأموي الحاقد على الرسول وآل بيته الميامين عليهم السلام.

ومن هنا فقد وضعنا التاريخ على علم بالقرارات الظالمة التي أطلقها المتوكّل العباسي بقطع يد الزائر الحسيني عندما يهمّ بالدخول إلى الحضرة الحسينية المقدسة حيث يُطالَب بمدّ يده لقطعها فيعطيهم اليد اليسرى فيقولون له: نروم لقطع اليد اليمنى، وإذ به يباغت القوم: لقد قطعتموها في العام الماضي.

المبحث الأول: الآثار الإيجابية لزيارة الأربعين (الدور الأخلاقي لزيارة الأربعين في بناء الجيل الواعي).

أثمرت زيارة الأربعين على مدى الأعوام الماضية عن تجسيد مقولة العلّامة الراحل د. حسين علي محفوظ «الدين هو الحب والحب هو الدين»[٢] بشكل حقيقي وملموس، حيث أنَّ الحُبَّ يجسد العامل المشترك والمحرّك الاساس لهذه الشعيرة الروحية والنفسية بدءاً بحب الله سبحانه وتعالى، حبّ القرآن الكريم، حبّ النبي الأكرم وحفيده الحسين عليهما السلام، حبّ البشرية الإنسانية، حبّ القيم والمبادئ العليا، حبّ التعايش السلمي بين الناس، حبّ الحياة الحرة الكريمة، وحبّ الغد المشرق.

من هنا شكّلت زيارة الأربعين الماراثونية لأكثر من عشرين مليون انسان عراقي مع عدة ملايين من الضيوف الأجانب القادمين من ستين دولة، ظاهرة اجتماعية أخلاقية وإنسانية مؤثرة وفعالة تركت أبعاداً وآثاراً إيجابية جديرة بالمراقبة والبحث والتحقيق والدراسة والتوقف عندها بعد فرزها لحالات وظروف رائعة وأبعاد إيجابية من شأنها أن تشكل حافزاً قوياً للنهوض بمجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة. وبذلك فإنها تنتج واقعاً آخرَ على عكس الواقع المرير من أوضاع وحالات التدهور والنكوص وتفشي الفساد الاداري والمالي في إدارات الدولة التي ابتلينا بها والتي اصطنعتها جهات معادية للعراق ومجموعة الفاسدين والمفسدين الذين كانوا وراء فشل المشروع العراقي الشامخ.

من هنا نجد أنَّ الثورة الحسينية المعاصرة المتمثلة بزيارة الأربعين انتجت العديد من الدروس والعبر والعوامل الايجابية المبهرة المتمثلة بالظهور بمظهر انساني، سلمي، مدني، وحضاري أمام العالم أجمع، مما أذهل المتابعين والمستشرقين بالرغم من التضليل والتعتيم الاعلامي الدولي المعادي لفكر آل بيت الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأنها ساعدت في شيوع مشاعر الإخاء والمحبة والوئام والتعايش وحب الحياة والتضحية في سبيل الآخر، وبروز وانتشار حالات إيجابية من العطاء والتفاني والتضحية والايثار والكرم والضيافة، كما إنها أبرزت وانتجت الشعور والاحساس بحالة من الصحة والعافية بعد ممارسة رياضة المشي التي يوصي بها أطباء العصر الحديث.

هذا وقد ساهمت هذه الرحلة الروحية في مغادرة حالة القلق وضجيج الحياة، والانطلاق بسياحة فطرية في فضاءات الهواء الطلق حيث الانفصال الاختياري عن روتين العمل اليومي والتغيير الايجابي للقاء الجديد من الوجوه المستبشرة، وهذا بطبيعة الحال يقود الى الشعور بالقوة في السير الجماعي نحو هدف أعلى في الحياة، نحو القيم الشامخة والقمم الانسانية والانموذج الالهي ونحو القدوة الحسنة التي باتت نادرة في الحياة العامة، أضف الى ذلك ان هذه الرحلة الروحية تساهم في الحصول على فرصة للحوار مع الذات البشرية ومراجعة النفس في القضايا العامة المهمة وتحديات الحياة اليومية خلال ساعات السير الطويلة وتعلم فن صناعة السعادة من امور بسيطة ودون تكاليف باهظة.

ولا ننسى الدور الرائع للمجتمع العراقي الذي افرز نماذج رائعة من العراقيين الاباة الذين اجتذبوا الاعلام وعدسات الكاميرات وأنطقوا الأقلام الصامتة مما ساعد في الشعور بالطمأنينة التي لم تأت من امتلاك المال والثروة ما يثبت بأن ليس كل الأغنياء سعداء ولا كل الفقراء تعساء، كما أن هذه الرحلة تعزز الثقة بالنفس والقناعة بالإمكانيات الذاتية وترويض النفس الأمّارة بالسوء، وتنتج الشعور الانساني المتأجج بالتنوع في بحر يموج بكتل بشرية متنوعة الاعراق والثقافات. ومن هنا فان الشعور بالعدالة الانسانية في فضاء لا يفرق بين الوزير والأجير ولا يفاضل بين الأمير والفقير الى حد ما يعني أنَّ هذه الزيارة وفرت فرصة ذهبية لإعادة النظر بأفق فهم الانسان لدوره المطلوب في حياته ومحاربة العنف والارهاب من خلال التلاحم والالتحاق في صفوف لواء المحبة والتعايش السلمي وقبول الآخر، حيث تساعد هذه الرحلة على نبذ العقد النفسية العالقة نتيجة الخلل في الثقافة الموروثة من الجهل والظلم والضلالة وتعزز الشعور بالمسؤولية الاخلاقية والوطنية لبناء الوطن والعمل على طرد المفسدين.

اضافة الى ما تقدم فإن هذه الشعيرة تساهم بشكل كبير وملفت للنظر في تمكين الغربيين على فهم الإسلام من خلال توافد عشرات المستشرقين وانخراطهم في هذه المسيرة، فدرسوا التراث والنصوص والمعالم الدينية وعلى أساسها رسموا صورة معينة عن الإسلام وأحوال المسلمين، حيث قادهم بحثهم الى دراسة الحج وبحثوا في أمر البقاع المقدسة عن طريق القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وسائر مصادر العلم والمعرفة والأدب مما ساعدهم على إيجاد الطريقة الأفضل للتعامل مع الشعوب الاسلامية وتحديداً الانسان المسلم، وهذا ينافي الاعتقاد بان عهد الاستشراق قد طواه الزمان واستنفد أغراضه لأنَّ معطيات الواقع الحالي تشير الى أنَّ الغربيين الذين يرون أنفسهم رعاة الحضارة المعاصرة ما يزالون يبحثون عن ما خفي عليهم من حقائق تتعلق بالحضارة والإنسانية، وإنْ لم يكن تحت عنوان الاستشراق، فإنه ربما يأخذ عناوين أخرى جديدة.

وتُعدُّ النهضة الحسينية من أبرز الحقائق الكبيرة التي لم يتوصلوا بعدُ الى صورة متكاملة لها حيث انها

باعتقادهم تمثل الحدث التاريخي الأهم ذا الدلالات العميقة وتمثل ثقافة وفكراً تتبناه شريحة واسعة في الأمة يتجلى في إحياء ذكرى الامام الحسين عليه السلام ضمن شعائر وطقوس خاصة في أيام عاشوراء وأيام زيارة الأربعين.

ان هذه الظاهرة الثقافية والشعيرة الروحية تكشف لهم حقيقة عالمية النهضة الحسينية لأن البعد الإنساني في القضية كان العلامة الاولى التي شخَّصها الغربيون سريعاً من أول يوم سمعوا فيه بخبر الواقعة وربما قبل أكثر من ألف عام، لكن الجديد في القضية الحسينية هو الأبعاد الواسعة لهذه العالمية، ففي الماضي كانت القضية في طيات الكتب المخطوطة وفي أدمغة المستشرقين وأهل العلم والمعرفة وهم معدودون في بريطانيا أو فرنسا، في حين ان النهضة الحسينية اليوم وأبعادها الانسانية تخترق مشاعر الاطفال والنساء وتفاصيل حياة الانسان الغربي، بل أي إنسان في العالم بفضل النمو في تقنية الاتصالات ووسائل الأعلام.

من هنا فان هذا التطور الجديد في أمر شيوع النهضة الحسينية وانتشارها في جميع بقاع المعمورة يضعنا أمام استحقاق جديد لمواكبة هذا الانتشار بالوعي الكامل بكل تفاصيل القضية الجوهرية، لأن اللوحة الجديدة التي تنعكس من النهضة الحسينية ستحمل معها مشاهد الزحف المليوني للزائرين في الأربعين الحسيني، ومنها مشاهد المواكب الحسينية الخدمية والتفاعل المثير للطفل والمرأة والمعوّق وغيرهم مع هذه الزيارة. ففي الماضي – على سبيل المثال في القرن السابع الميلادي – عندما يسمع الانسان الغربي عن حادثة استشهاد الامام الحسين عليه السلام فإنَّ المعنيين بأمر الثقافة في البلاد الغربية يجدون أنفسهم مطالبين بملء هذا الفراغ الذهني الجديد بما يرونه مناسباً لهم، والإجابة عن التساؤلات وتقديم التفسيرات لما جرى كما حدث تماماً بالنسبة للدين الاسلامي عندما وصل الى المجتمعات الغربية من خلال الكتب المترجَمَة والمطبوعات العامة وانتشار المبلغين وغيرهم، من ثم جاء دور السينما و(فيلم الرسالة) لتقريب الصورة أكثر الى الاذهان، اما الان فان الصورة الواقعية حاضرة في كل بيت ولا تحتاج الى دليل على درجة الوعي للإنسانية اجمع بكل ما يتعلق بالنهضة الحسينية.

المبحث الثاني: الأبعاد الجوهرية لزيارة الأربعين المليونية

ليس من الغريب ان تكون هذه الثورة الاصلاحية العظيمة إحدى العلامات التي تخص المؤمن والفرد الانساني، فهي دلالة وعلامة ينالها الإنسان بالدم والفداء والتضحية كما انها أصدق تعبير عن الحبّ والولاء لعترة النبي عليه افضل الصلاة والسلام مقابل من أبروا والتزموا طاعة الشيطان وطاعة آل أبي سفيان. لذا كانت هذه الزيارة وما زالت واحدة من الأمور التي حفظت وأرست مسار ديمومة الطريق الحسيني وأدامت توهجه نبراساً ونوراً لا ينطفئ إلى يومنا هذا.

اذ إنها المعين الصافي الذي نهل منه المناضلون والشهداء روح الفداء والعطاء والتضحية فبذلوا الارواح والمهج والأنفس لدوام وحفظ دين الله تعالى ورسالة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ونهج أهل البيت

المعصومين عليهم السلام، من هنا فان لعرفان فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الاربعين آثاراً وأبعاداً عديدة ومتنوعة منها:

أولاً - البعد الروحاني

من حيث البعد الروحاني فان الامام الحسين عليه السلام هو العالم والعارف بالله تعالى، وهو الذي انصهر في حب الله تعالى فوهب لله تعالى كل ما يملك حتى طفله الرضيع، فكرَّمه الله تعالى بكل الأمجاد والكرامات الجليلة في الدنيا والمنازل الرفيعة في الآخرة، وبذلك فان الزائر الحسيني سيعرف الله تعالى كما يعرِّفه له الإمام الحسين عليه السلام من خلال فدائه وتضحيته لدينه بكل ما يملك، ومن خلال كلماته المنيرة وأفعاله البهية وسجاياه الرفيعة ونهجه الصحيح، حيث ان الموالين يتوافدون عبر مئات السنين بل ان الزيارة تمتد إلى ذات السنة التي قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام -سنة ٦٠ هجرية- حيث أن الأخبار دلّت على أن الذي قام بالزيارة الأربعينية الأولى هم جمع من المسلمين كان في مقدمتهم الصحابي الجليل - جابر بن عبد الله الأنصاري- وهذا الرجل معروف بحبه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وللحسين بشكل خاص. ومنذ ذلك الحين والمسلمون بل حتى غير المسلمين يتوافدون على هذا الضريح الشريف في يوم الأربعين، والغرض من ذلك هو تكوين علاقة وطيدة بين الناس بصورة عامة والمسلمين بصورة خاصة وبين صاحب هذا الضريح الشريف باعتباره أمام مفترض الطاعة حسب مذهب أهل البيت لأنه خامس أصحاب الكساء عليهم السلام أولاً، وباعتباره الثائر الأول على طاغية زمانه وبذل في نهضته وثورته هذه كل أهل بيته وأصحابه وأولاده ونفسه وعرّض عياله إلى السبي ثانياً. وليس هذا وحسب وانما طيف برأسه بين البلدان هو وأهل بيته وأصحابه بمسيرة امتدت لأكثر من أربعين يوماً ذاقت خلالها العائلة النبوية الكريمة كل ألوان الخوف والقمع والحرمان.

ثانياً - البعد العقائدي والفقهي

وبالنسبة للبعد العقائدي والفكري فإن الزائر الحسيني وإن لم يكن مسلماً فهو سيبحث عن الإمام الحسين عليه السلام أي أنه سيبحث عن نهج وسيرة الإمام الحسين عليه السلام من حيث أخلاقه، عقائده، ومبادئه، لاسيما في التوحيد.

وعندما يتوصل الى العقائد الحقة التي يحملها الإمام الحسين عليه السلام يقوده ذلك الى الاعتقاد بها لأنه يعتقد بمن لا يعتقد إلا بالصدق والحق، لإيمانه المطلق بذلك، وبذلك يكون هنالك اعتقاد بعقائد ومبادئ شيعة اهل البيت عليهم السلام ونبذ كل عقيدة تنافر ذلك كعقيدة التجسيم التي يعتمدها ويتبناها الفكر الوهابي المقيت، كما إن البعد الفقهيّ لزيارة سيد الشهداء عليه السلام يتضمن الفقه، وحقيقة الفقه الذي هو مكنون عند النبي وآله الهداة المعصومين لأن النبي صلى الله عليه وآله علمه من الله تعالى وهو الشارح والمفسر للقرآن الكريم وإنَّ علوم ومعرفة اهل البيت عليهم السلام هي من النبي صلى الله عليه وآله الذي علّم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب بحسب تعبير الروايات والأحاديث الواردة ومن هذه العلوم

علم الفقه. لذا فإن الحكم الشرعي الأصيل المطابق للحكم الحقيقي الواقعي لا يكون إلا عن النبي ﷺ وآله عليهم السلام، ومن هنا فان الزائر الحسيني سيأخذ الحكم الفقهي المنبثق من الإمام الحسين والأئمة عليهم السلام وبهذا سيكون قد تخلى عن كل رأي فقهي خالف رأي الإمام الحسين والأئمة من اهل البيت عليهم السلام، وتعليل هذه الحقيقة يكمن في كون الزائر يؤمن بأن لا رأي يقف أمام رأي أهل البيت عليهم السلام، لذا سينمحق المنهج الفاسد المعزو الى الفقه كمنهج القياس والرأي.

ثالثاً – البعد الاخلاقي والتربوي

وبما ان جوهر هذه الدراسة هو بيان أثر الزيارة الاربعينية في إصلاح المنظومة الاخلاقية للمجتمع، لذا فإن البعد الأخلاقي والتربوي يأخذ حيزاً كبيراً في إرساء دعائم هذه الشعيرة المقدسة، لأن الأخلاق الانسانية تُعدُّ وعاء الدين الاسلامي وأنها أول ما يوضع في ميزان الانسان وتمثل الجمال الحقيقي له، فالمجتمع الانساني لابد له من الأخلاق كي يعيش في أمان وسلم، ولكي يرعى بعضه البعض إذ ان الفرد والأسرة والمجتمع بأكمله يحتاج الى الاخلاق لأنها الاساس في التعامل والتعايش السلمي للبشر.

ومن ثمار زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي التعرف على أخلاق وسجايا الإمام الحسين عليه السلام لينظر الزائر ويتعلم من الامام عليه السلام كيف كان يعفو عن المسيء، وكيف كان صبره وحلمه على من أغاظه وأغضبه، وكيف كان سخاؤه على الناس بغض النظر عن لونهم او دينهم، وكيف كانت شجاعته ومروءته، وكيف كان حفظه للسر، وكيف كان أداؤه للأمانة، وكيف كان إكرامه للضيف، وكيف كان يرد الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة والفعل البذيء بالفعل الجميل الحسن.

إذا عرف الزائر هذه السجايا فإنه سيحاول التخلق بتلك السمات والاخلاق الراقية النبيلة العظيمة، وبهذا يسمو الفرد والأسرة والمجتمع ويتكاملون تكاملاً أخلاقياً ضمن منظومة متكاملة من المزايا والصفات النبيلة في إطار من الصواب والوعي والعلم والفكر والمعرفة العقائدية الحقة. وهناك أبعاد أخرى لزيارة الأربعين ونتائج عظمى سنتوصل لمعرفتها من خلال البحث.

المبحث الثالث: زيارة الأربعين مناسبة للإصلاح:

أولاً – تكريس المُثُل والقيم الانسانية

كانت زيارة الاربعين وما زالت موسمَ الرفد والعطاء السماوي وموسم الفضيلة والتقى والأخلاق الحميدة. كما ان عاشوراء العطاء هو موسم العلم والمعرفة وآية لانتصار مبادئ الحق على جيوش التيه والضلال، وإذا كان رفده وعطاؤه قد بلَغَ غاندي محرِّر الهند الذي تعلمَ من الحسين عليه السلام كيف يكون مظلوماً لينتصر، فإنّ المسلمين عامة وشيعة الإمام عليه السلام خاصة أجدر بهذا الرفد والعطاء، فالإنسانية جمعاء تدرك نعمة المطر الذي ينزل من السماء ليحيي الله به الأرضَ بعدَ موتها، اذ إن الاستفادة منهُ على الوجه الأكمل تمكّن الانسان من الحصول على مختلف الثمار والأزهار حيث تمتلىء الأرض بالحدائق والقلوب

بالبهجة، فإذا هبطت نسبة الانتفاع من المطر هبطت نسبة المكاسب التي يُتوقّع نيلها أيضاً فإن لم يستفد منه فإنّه يتسرّب إلى جوف الأرض وبذلك يضيّع الإنسان النعمةَ التي أعطاها الله إليه وربّما تجمع في المنخفضات ليتحوّل إلى ماء آسن وراكد يحملُ الأمراض والميكروبات التي تكون مورداً لكثير من الأوبئة. كذلك الحال في ملحمة كربلاء الحسين عليه السلام فهي كالمطر الذي قد يحوّل العصاة والطغاة ببركات الحسين وزيارة الحسين عليه السلام الى نماذج تفتخر بهم الامم أو قد يتحولون إلى نقيض أهداف زيارة الحسين المثالية وذلك حينما تنتهز هذه الشعيرة لقتل الناس الأبرياء وحرق المساجد والحسينيات والمنشآت المدنية والتعدي على المواكب العزائية وتكريس الفرقة والاختلاف كما تفعله بعض المجموعات الارهابية تنفيذاً لمخطط الاستعمار (فرِّق تَسُد).

وفي الجانب الآخر يُستفاد من الزيارة الاربعينية لإحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام وما يحفُّ بها من السمات المعهودة، ولا شك في أنّ هذه الشعيرة من أبرّ وأقرب القربات الموجبة لصلاح الدنيا والآخرة، كما ان قول الله سبحانه: ﴿يَأخُذُوا بِأحْسَنِها..﴾[٣] يستوجب الانتفاع من هذه الشعيرة المقدسة أفضل انتفاع وأتم توظيف وفي شتّى مجالات وأبعاد الحياة، وهذا يكمن في قوله سبحانه وتعالى في باب التمثيل: ﴿أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجّ وَعِمارَةَ المَسْجِد الحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَدَ فى سَبيلِ اللهِ..﴾[٤] لذا فإنّ (السقاية) و(العمارة) من أفضل القربات عند الله سبحانه، في حين ان تكريس الإيمان والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى والعمل وفق أعرافه وسننه أرجح وأقرب من السقاية والعمارة بمنازل ودرجات كبيرة عند الله تعالى.

كما ان هذه الدراسة تهدف إلى بيان السبيل الأمثل والأشمل للانتفاع من هذه الفرصة وتوظيفها على الوجه الأحسن لخدمة الدين والبشرية ولإنقاذ الإنسانية من الجهل والتخلف والضلالة، وبذلك يكون من واجب كل إنسان حرّ الاستفادة من ألطاف ورحمة الله تعالى المكنونة في زيارة الأربعين لتركيز الإيمان والعفاف والورع والمثل الأخلاقية السامية في المجتمع الإنساني وإن تحلي الانسان سواء كان مسلماً أم لا بالصفات النفسية العالية يمنحه المناعة من الأمراض النفسية التي شاعت في الكون المادي، وموسم الربع الحسيني وما يصاحبه من شعائر عزائية تقود الى توسعة دائرة المُثُل الاخلاقية الرفيعة والقيم الحسينية السامية لاحتوائها على منازل ورتب.

ومن الضروري أن يجعل هذا الموسم العبادي نقطة الانطلاق للتوجيه والتبليغ ونشر أحكام الله سبحانه وتعالى وتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله الداعية إلى التعايش السلمي بين افراد المجتمع وتوطيد روح الأخوّة الإنسانية والسلام وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجسّد هذا المفهوم في قول الإمام علي عليه السلام: (الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[٥]، حيث ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام جاهدوا من أجل تطبيق هذه المفاهيم والقيم الانسانية وتركيزها في المجتمع، وكان الامام الحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي لنهج الرسول صلى الله عليه وآله ونهج خليفته امير المؤمنين من بعده في ثورته الميمونة ونهضته ضد

الظلم والطغيان وقوى الشرك والنفاق وكان هذا جلياً في قوله المشهور: (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي وشيعة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام)[٦].

كما انه عليه السلام قال: (نحن وبنو أميّة اختصمنا في الله عزّ وجلّ قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهما الخصمان يوم القيامة)[٧]. ومن أقواله عليه السلام أيضاً: (اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك..)[٨].

وبهذا فان الشهرين المباركين محرّم وصفر- وعلى وجه الخصوص موسم زيارة الأربعين العبادي من أفضل الأوقات للدعوة للإسلام ومذهب التشيّع ونشر مبادئ الحق، قيمه، واعتباراته، وهذا ما تضمَّنه الحديث النبوي الشريف: (ما أخذ الله على الجهّال أن يتعلّموا إلاّ وقد أخذ على العلماء أن يعلّموا)[٩]. وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إذا ظهرت البدع في أمّتي فليُظهر العالم علمه وإلاّ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[١٠]، وعن الامام علي عليه السلام انه قال: (وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم وسغب مظلوم)[١١].

ثانياً - الاهتمام بالإنسان والمجتمع

تعتبر زيارة الأربعين موسم الرفد الالهي الذي ينشر رحماته على الانسانية اجمع وهذا يتجسد في دور المؤسسات الدينية والمجالس الحسينية والمواكب العزائية بالاهتمام بالشباب والنساء وكبار السن والأطفال، حيث يمثل الشباب عماد المستقبل، والتغافل عنهم يؤدي الى انحرافهم عن المنهج الصحيح والأفكار السليمة وانخراطهم مع التوجهات المريضة وسقوطهم في مصائد الإلحاد والفساد والإفساد، وبذلك تتحول تلك القوى الشبابية الخيرة إلى معاول للهدم والخراب. فالاهتمام بالطاقات الشبابية يتجسد في الاهتمام بتنشئتهم وتأهيلهم وتثقيفهم وتوفير العمل الشريف لهم وتزويج عزّابهم الخ. كذلك النساء كان لهن نصيب من الاهتمام، فلكونهنّ وجدانيات فإنهنّ معرّضات للاستغلال من قبل المفسدين في الأمور المحظورة والمنافية للطهر والعفاف والمبادئ الاجتماعية فتكون أنوثتهنّ بضاعة لاستدرار المال للفاسدين، ومن الواجب تزويج النساء لئلا يتركن عوانس لأن العنوسة توجب العلل النفسية والجسدية فضلاً عن الاجتماعية، ومن الواجب إرشادهن وإرشاد آبائهنّ وأزواجهنّ أيضاً لكي يكون الترابط بين الزوجين إنسانياً وفقاً للضوابط الإسلامية التي تضمن حقوقهنّ المشروعة وتوفر للجانبين الحياة المرفهة، كما ورد في الحديث الشريف: (عَلِمَ الله ضعفهنّ فرحمهنَّ)[١٢]. كما ان كبار السن أولى بالعطف والرحمة حيث قال الإمام علي عليه السلام في رجل نصراني يتسول: (استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز تركتموه)[١٣] فإهمال العجزة وكبار السن خلق المجتمع المتخلّف، وحيث ان الشباب مرشح لأن يكون من العجزة في المستقبل فانه لم يراعِ ويحترم العجزة وكبار السن فمعناه أنه لم يوقر ويحترم نفسه.

وهذا مصداق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها..﴾[١٤] وكذلك الحال بالنسبة لفئة الأطفال، لأن الأمم التي تبحث عن سعادتها ومستقبلها لا بدّ لها أن تلتفت وتهتم بجيلها المستقبلي وذلك بأن يكون سليم الجسم، خالياً من العقد النفسية كون الأطفال عون للآباء والأمّهات وما يتناولونه ويأخذونه من آبائهم واسرهم ومجتمعهم يسترد عبرهم بعد أعوام و(من لا يحسن لا يُحسن إليه) و(ما أعطيته بيدك اليُمنى تأخذه بيدك اليسرى).

ثالثاً - إرجاع الحقوق الإنسانية الى مستحقيها

تعتبر ثورة الامام الحسين عليه السلام درساً مهماً لتنظيم الواقع السياسي للإنسانية إذ يستفاد من واقعة الطف في حل المعضلات السياسية التي تعاني منها الأمم، ومنها مشكلة الظلم والاستبداد والدكتاتورية الغالبة في العالم الثالث، وفضح الحكام الطغاة الذين اتَّخذوا عباد الله خولاً وأموالهم دولاً ودينهم دغلاً، كما إن المنافع الشخصية للطبقة السياسية تستوجب وجود التحيز والفرقة والاستعباد بين الناس، فالإمام الحسين عليه السلام جاهد وناضل للقضاء على هذا الظلم والطغيان، أليس هو القائل: (إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمَّة جدّي وشيعة أبي علي بن أبي طالب أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر..)[١٥]. كما إنه قال (على الإسلام السَّلام إذا بُليت الأمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان)[١٦]. وقوله صلى الله عليه وآله أيضاً: (إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[١٧].

وفي هذا الدرس الانساني والاخلاقي القويم يكمن سرّ محاربة الطغاة للإمام الحسين عليه السلام فكراً ومسلكاً ونهجاً وبلداً وحرماً وزيارةً وشعائرَ وطقوساً دينية ومصاباً وبكاءً وذكراً. حيث قال عليه السلام: (ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركّز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[١٨].

ان ثورة الامام الحسين عليه السلام وزيارته يوم الأربعين تعد صرخة حق ضد العرقية والعنصرية التي تعاني منها أغلب بلدان العالم حتى التي تطلق على نفسها البلدان المتمدنة، فالتمييز العرقي والفروق اللغوية والجغرافية والقومية والعنصرية هي المتسلطة والحاكمة في العالم لذا جاءت ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجسدة في زيارة الأربعين لتكون درساً اخلاقياً واجتماعياً وتربوياً لتربية وتعليم الامم على نقض هذه الثقافات الدخيلة المتخلفة، ويستفاد من زيارة أبي الشهداء عليه السلام في إطفاء نار الفتن الطائفية والحروب الاهلية التي أضرمتها الدوائر الاستعمارية وقوى الضلال في بلادنا منذ أمد بعيد، حيث ان ٨٠٪ من صراعات العالم الخارجي مسرحها الدول الإسلامية. ولقد ساعدت زيارة الاربعين واستذكار النهضة الحسينية في إيجاد المنظمات الإنسانية لإنقاذ البشرية من الجوع والفقر والمرض ويتم حل المشاكل التي تواجه المجتمع عن طريق قيام الخطباء بأداء

دورهم الديني، وقيام المؤسسات والهيئات الإدارية للمساجد والحسينيات بتوزيع الكتب التربوية والتوعوية والتثقيفية، وكذلك قيام وسائل الإعلام بأدوارها الحقيقية، تنفيذاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذينَ أوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ...﴾[19]. وتنفيذاً لقوله تعالى: ﴿إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبايِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ...﴾[20]. ومن هنا اصبح من الضروري توسيع دائرة الانتفاع من ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجسدة في زيارة الاربعين ودروسها العظيمة لخدمة الإنسانية ولإحراز السَّلام في العالم، ومن الواجب أيضاً أن لا نترك هذه المناسبة تسير سيراً بطيئاً وبدون انتفاع كامل كما هو المعتاد عند بعض المتصدين للمجالس خطيباً كان أو هيئة إدارية.

رابعاً - رفض المحرمات وإزالة المنكرات

من الدروس والعبر الكبيرة لزيارة الحسين وموسم عاشوراء إزالة المنكرات والقبائح التي تؤثر على التعايش السلمي وأمن المجتمع من خلال الطلب من الحكومات بل والضغط عليها لإلغاء القوانين المنكرة المبيحة للمحرّمات وهو الامر الشائع في بلاد الإسلام، كما ان من الضروري الاهتمام الجماعي أو الفردي لإزالة المنكرات بقدر المستطاع – فمثلاً تجمع الأموال لتزويج اللاتي أجبرن للبغاء من الفقر أو الحاجة، وشبه ذلك، حيث ورد أن أمير المؤمنين علي عليه السلام زوّج مومسة، وكذلك من الضروري جمع الأموال لتحويل حانات الخمور إلى محلات لبيع السلع والبضائع المحللة، ولو بدفعها لأصحابها تشويقاً لهم على تغيير المهنة. وبالرغم من توهّم البعض بأن الأعمال الجزئية لا تعطي الآثار والنتائج المطلوبة لذا يجب على الانسان أن يستوعب بأنَّ ما لا يدرك كله لا يترك جلُّه لرفع هذا التوهّم، وهذه قاعدة عقلية قبل أن تكون شرعية، والميسور لا يسقط بالمعسور. كما ان هناك الدروس والعبر الاخلاقية الكبيرة لزيارة الأربعين التي تتضمن الدلالة على عظم الفائدة وقيمة العمل الإرشادي والتوجيهي وقداسته. وهذا مصداق لقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: (لئن يهدي الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمس)[21]، والسبب يكمن في أنَّ هذه الجزئيات لها ملحقات وإلغاؤها إلغاءٌ لملحقاتها أيضاً وهو امتداد وملحق هام للمعروف وهو واجب.

فعلى سبيل المثال غلق حانة الخمر ومنع المرأة الباغية عن البغاء له امتدادات في الأسرة وفي المجتمع أفقياً وعمودياً في عمق الزمن. وبملاحظة كثرة الجزئيات الفاسدة المنحرفة وتدميرها كحاصل ومجموع للمجتمع نجد أن توظيف الموسم العاشورائي والزيارة الحسينية للحيلولة دونها شيء عظيم وذو فائدة كبيرة مرجوة. فإلغاء ألوف المقامر والمخامر والمباغي والحانات والملاهي والمراقص ومراكز الاختلاط وأندية الشذوذ الجنسي يقود إلى طهارة وعفة المجتمع وسلامته إلى درجة كبيرة، ثم إنه عمل يحبُه الله ورسوله وصالح المؤمنين فضلاً عن أنّه عمل بالمنصب الشرعي والوظيفة الشرعية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن الواجب أن تتناصر وتتظافر الجهود لإرجاع الشباب إلى حجور العفاف والفضيلة والتقوى، وصدهم عن المخدرات بل وحتى عن التدخين ونحوهما من العادات الضارة صحياً، والموجبة لهدر المال والصحة ومن ثم هدر العُمر، وكذلك ترك العادات الداخلة في عنوان اللعب واللهو واللّغو سواء بدرجة الحرمة أم الكراهة.

المبحث الرابع: عالمية الامام الحسين في زيارة الاربعين

سميت زيارة الاربعين موسم الحج الاكبر الذي يتم من خلاله التبليغ والتوجيه الاسلامي لجميع الناس ليشمل غير المسلمين من الجماهير، فالدين الإسلامي بمعناه القرآني الذي طبقه الرسول الاعظمﷺ وسار على نهجه الإمام عليؑ يرمي لتخليص الإنسان من براثن العبودية والطغيان والجهل والاستغلال والفقر والمرض والطمع والفوضى: ﴿إذا دَعاكُمْ لِما يُحييْكم﴾[٢٢]، وأكثر البشر وبسبب نأيهم عن أحكام السماء وتعاليم الأنبياء ونهج محمد وآل بيت محمد عليهم السلام ابتلوا بهذه المعضلات. و﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرى فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً..﴾[٢٣]. وبالرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرناً على بعثة الرسول الأكرمﷺ لا زالت الجاهلية والوثنية شائعة في الكرة الأرضية، كما في الهند والصين واليابان وكوريا بقسميها وبعض بلاد افريقيا ولا زالت الصنمية المغلّفة تسود في أرض الله كالذين يقولون أن المسيح ابن الله أو عزير ابن الله أو الذين يؤمنون بإلهين اثنين مع أن المنطق العقلائي مع وحدة الإله وخواصه الثبوتية والسلبية المشهورة في علم الكلام، اذ إن الفطرة البشرية والطبيعة الصحيحة مجبولتان على موافقة الحق واقتفاء مناهجه ﴿فطرة اللهِ الّتي فَطَرَ النّاس عَلَيْها﴾[٢٤] والمعارض قليل ومنحرف عادةً. لذا فالواجب على اتباع اهل البيتؑ أن ينشروا القيم السماوية وإقامة المجالس الحسينية، حيث ان التاريخ يروي لنا أنه بسبب التبليغ والإرشاد ساد الإسلام في الهند قرابة ألف عام، ولكن نتيجة لتخلف وجهل الحكام وكبار القوم وانغماسهم بالمخاصمات الداخلية والحروب الأهلية والأمور الذاتية، ونتيجة لتقاعس من كانت تقع عليهم مهمّة التبليغ ضعف انتشار الدين الإسلامي في الهند، فلم تتعد نسبة المسلمين فيها في الوقت الحاضر باستثناء الباكستان (٢٠٪) من الشعب وبسبب التبليغ والارشاد والتوجيه الديني ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام انتشر الإسلام في الجملة في أوربا وأمريكا واستراليا وبقية دول العالم. كما ان التاريخ الإسلامي حافل بالقصص والشواهد التي تبيّن دور التجّار والعلماء في نشر الإسلام وهداية الناس، وفي وقتنا الحالي يتكرّر هذا الدور الرسالي في موسم زيارة الاربعين وبشكل واسع. وبذلك أصبح من الواجب على الشيعة المساهمة الفعلية وحمل الدور الرسالي في إبلاغ رسالة الإمام الحسينؑ الداعية إلى إحياء معالم الحق وطلب الإصلاح لإنقاذ الإنسانية من غياهب الجهل والشرك والمتاهات الفكرية والعملية.

لقد شكلت الشعائر الحسينية وخصوصاً الزيارة الأربعينية المتمثلة بإحياء المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسينؑ مادة للبحث العلمي لدى الكثير من الدارسين والباحثين والمستشرقين الغرب. فقد وجدوا فيها مادة وآثاراً تستحق البحث والتنقيب، لذا عمدوا إلى البحث عن المعنى الحقيقي وراء هذه المعجزة والاسباب الخفية والدلالة الالهية الغيبية لها، فانطلقوا بكل امكانياتهم من أجل توصيف المظاهر السطحية إلى الغور في عمق المعاني المتجلية من هذه الشعائر، وكثيراً ما نرى كتباً ودراسات لمفكرين وباحثين ومستشرقين بعيدين عن الإسلام وعن التشيع ولكنهم تكلموا بلسان من يفهم هذه القضية ويعيش تجلياتها الغيبية ويعاين عمق معانيها السامية، وليس ذلك بالأمر الغريب فثورة الإمام الحسينؑ عالمية ورسالة للإنسانية أجمع وليست حكراً على فئة أو طائفة وإنما هي ثورة أممية وعالمية انطلقت من

مدينة كربلاء وامتدت على طول خط الزمان والمكان حيث أن كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء.

من هنا فإنها لعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في الكثير من منعطفات التاريخ ومستجداته، وكان الحكام الظلمة يحسبون لها حسابات عديدة لأنها النور الساطع والسراج الوهاج الذي يضئ درب الاحرار في كل زمان ومكان.

الخاتمة

إن ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجددة في زيارة الأربعين من كل عام حوت الكثير من المبادئ والصور التربوية والاخلاقية والدينية المهمة التي تصب في خدمة الفرد والمجتمع الإنساني، تلك المبادئ التي بدونها لا يمكن باي حال من الأحول تحقيق الاهداف المنشودة للمجتمع الإنساني. كما إن الجوانب الخلقية والتربوية كانت في مقدمة المنهج والبرنامج التربوي للإمام الحسين عليه السلام وانها تأتي كأحد الاهداف للثورة الحسينية المباركة لأن هذه الزيارة هي إحدى الزيارات التي فيها تناولٌ للجوانب التربوية بعرض مثير ومحرك يشد السامع ويلفت انتباهه على ان نتخذ منها منهجاً وبرنامجاً أخلاقياً لتربية هذا الجيل بتهذيب سلوك أفراده لنجعل من كل انسان حسين في الطبع والاخلاق والمنهج الاصلاحي القويم.

وبما إن التلاقح الفكري والترابط المعرفي يعتبر أحد أهم الركائز التي بنيت عليها الحضارات في شرق الأرض وغربها وسبب أساس في التعايش السلمي، لذا فقد أوجدت هذه الشعيرة المقدسة مشروع التلاقح الفكري والثقافي والمعرفي والاخلاقي حيث أنها فرصة لالتقاء شتى الحضارات الشرقية والغربية بما يكفل لكل زائر أو صاحب موكب أن يخرج بمحصلة معرفية واخلاقية متنوعة المراجع ففيها تجد الشرقي والغربي ومن شتى الأديان والمذاهب والتيارات الفكرية في حالة من التوائم والتعايش، أضف إلى ذلك أنها تمثل نقطة التقاء بين الشيعة أنفسهم ومن شتى بقاع العالم وبين مبادئهم الإنسانية التي تم اختصارها بنقطة تدعى طف كربلاء. وتعني زيارة الأربعين إقامة وإحياء هذه الشعيرة وتخليد مزاياها الدينية والتربوية والأخلاقية التي لا يحدها مكان او زمان، من هنا فإن إقامة المجالس والمواكب الحسينية في زيارة الأربعين من كل سنة تشكل إحياءً لنهضة الإمام الثائر والتعريف بالظروف القاسية التي أحاطت بها، وخصوصاً تلك التعديات والانتهاكات التي ارتكبها الحكام الأمويون بحق سبط الرسول الأكرم وذويه وصحبه عليهم السلام أجمعين. وتعتبر مراسم زيارة الأربعين صرخة مدوية ضد الظالمين والطغاة ومحفزاً للزائرين على المجيء الى كربلاء المقدسة من أجل تجديد البيعة للإمام الحسين عليه السلام، وهذه علامات كثيرة ومدلولات كبيرة وهي رسالة واضحة المعالم الى كل الطغاة للكف عن أساليبهم في انتهاك حقوق الأمة، كما انها تساعد على بناء وتنمية المثل العليا للفرد المسلم الملتزم بما يريده الإمام الحسين عليه السلام ممن يناصره كي يُصنَع الضمير الحي لدى كل إنسان قد يجرفه حب الدنيا والأهواء. وكلما أمعن الخطباء والشعراء الحسينيون في رثاء الإمام الحسين وذكروا مصيبته وأهل بيته عليهم السلام تفتح لهم ولزوار الإمام أبواب العفاف والشفاعة والمغفرة، ولهذا باتت هذه الزيارة سياقاً مستداماً لتجديد العهد مع سيد الشهداء من قبل الزوار الكرام في يوم الأربعين من كل سنة، هؤلاء الزوار القادمون من أصقاع العالم كافة، متجشمين عناء السفر والمشقة والتعب والمخاطر التي

تتمثل بتهديد حياتهم من قبل المتطرفين والإرهابيين كالدواعش الوهابيين.

إن هذه الشعيرة تمثل أعظم وأكبر تجمع ديني في العالم، لذا فإن أردنا أن نتعرف على الإسلام الحقيقي علينا بزيارة الأربعين، لأنها مناسبة عظيمة لتعضيد القيم والمثل. كما أننا نتعلم من هذه الزيارة تحمل الصعاب والصبر لأنه مفتاح كل شيء وكذلك الوقوف ضد الإرهاب والتكفيريين.

ومن هنا نلاحظ هذا العزم الجهادي والولائي لسبط النبيﷺ من خلال المشي المليوني والإصرار على التوجه الى كربلاء المقدسة لأداء مراسم زيارة الأربعين، بالرغم مما يتعرض له الزائرون من ألوان العذاب والتهديدات الأمنية أثناء المسير الى كربلاء المقدسة.

الهوامش

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ٥٢، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

(٢) الطريق الى الحُب (رسالة في التصوف) مروان إبراهيم القيسي، ص ٢٤.

(٣) الاعراف:١٤٥.

(٤) التوبة:١٩.

(٥) نهج البلاغة.

(٦) ناسخ التواريخ ٥٦.

(٧) أهل النخيل ص ٢٤.

(٨) معجم أنصار الحسين ص ٤٥.

(٩) نهج البلاغة.

(١٠) الكليني (اصول الكافي) باب البدع والراي. ص٤٥٧.

(١١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠٢- الخطبة الشقشقيّة.

(١٢) مكارم الاخلاق- الشيخ الطبرسي ص ٢٣٥.

(١٣) وسائل الشيعة: ج١١ ص٤٩ باب١٩ ح١.

(١٤) الاسراء:٧.

(١٥) الحسين في موكب الخالدين (مناقب الطالبيين) ص٥٧.

(١٦) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٢.

(١٧) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧ وبحار الانوار: ٤٤:٣٦٢.

(١٨) لواعج الأشجان: ج١ ص١٢.

(١٩) المجادلة: ١١.

(٢٠) الحجرات:١٣.

(٢١) الجامع الصغير والجامع الكبير.

(٢٢) الأنفال: ٢٤.

(٢٣) طه: ١٢٤.

(٢٤) الروم: ٣٠.

المصادر والمراجع

١. ابن شهر اشوب، محمد علي، مناقب آل أبي طالب، مطبعة بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

٢. البحراني، هاشم. معاجز الامام الحسين. مطبعة العلم. البحرين، ٢٠٠٤.

٣. البركتي، محمد عميم الاحسان. قواعد الفقه. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٦.

٤. الرضي، الشريف (تعليق السيد محمد الحسيني الشيرازي). نهج البلاغة. دار العلوم. بيروت، ١٩٩٨

٥. الزحيلي، محمد بن النجار. شرح الكوكب المنير. مكتبة العبيكان،١٩٩٧.

٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير. دار الفكر

للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٩٤.
٧. الشوشتري، جعفر بن الحسين. الخصائص الحسينية. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٥١.
٨. الشيخ الطبرسي، مكارم الاخلاق. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٧١.
٩. الشيرازي، سيد صادق الحسيني. العلم النافع سبيل النجاة. مطبعة قم. ايران، ٢٠٠٨.
١٠. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٧٨.
١١. العاملي، محمد بن الحسن الحر. وسائل الشيعة. دار الساقي. بيروت، ١٩٧٧.
١٢. العقاد، عباس محمود. ابو الشهداء الحسين بن علي. مطبعة القاهرة. مصر، ١٩٩٨.
١٣. القيسي، مروان ابراهيم. الطريق الى الحب (رسالة في التصوف). مطبعة القاهرة. مصر، ٢٠١٤.
١٤. الكرباسي، محمد صادق. تاريخ المرأة (الحسين وأهل بيته وأنصاره). مطبعة بيروت. لبنان، ١٩٩٨.
١٥. الكرباسي. معجم انصار الحسين. الجزء الثاني. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠١٠.
١٦. الكرباسي. معجم المقالات الحسينية. مطبعة لندن. المملكة المتحدة. ٢٠١٤.
١٧. الكليني، محمد بن يعقوب. اصول الكافي. دار التعارف للنشر. بيروت، ١٩٩٨.
١٨. الكوراني، فخر الدين. المنتخب للطريحي في جمع المراثي والخطب المشتهر بالفخري. مؤسسة العلم. بيروت،٢٠٠٣.
١٩. المجلسي، محمد بن باقر بن تقي. بحار الانوار. دار التعارف للنشر. بيروت، ٢٠٠١.
٢٠. المعلم، محسن علي. الحسين في موكب الخالدين. مطبعة القاهرة. مصر، ١٩٩٣.
٢١. المهاجر، عبد الحميد. إعلموا إني فاطمة: فاطمة الزهراء والحضارة الاسلامية. مؤسسة دار الكتاب والعترة. جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٣.
٢٢. بحر العلوم، حسين. الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠٠٨.
٢٣. بيجوفيتش، علي عزت. الاسلام بين الشرق والغرب. دار الشروق. لبنان، ٢٠٠٦.
٢٤. بيلاني، علي صادق. موسوعة الامام علي. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠٠٦.
٢٥. تاج الدين، مهدي. النور المبين في شرح زيارة الأربعين. دار الكتب العلمية. بيروت، ٢٠٠٥.
٢٦. حلاوي، جنان جاسم. أهل النخيل. دار الساقي. بيروت، ٢٠١٧.
٢٧. سبهر، محمد تقي. ناسخ التواريخ. مطبعة قم. ايران، ٢٠٠٧.
٢٨. شحادة، حسين. الزنبقة في التقاريظ المنمقة. مطبعة بيت العلم للنابهين. لبنان، ٢٠٠٤.
٢٩. عاملي، محسن الحسيني. لواعج الأشجان. مؤسسة العلوم الاسلامية. بيروت، ١٩٩٦.